تناول القدماء ، فى رقة أسلوب وعبارة ، تشرب من العصر الذى عاشوا فيه ، فقال إسماعيل صبرى فى مصر :

إننى أستغفرُ الله لكمْ ... آل مصر ليسَ فيكمْ منْ رجال
فلَّ غرْبى ما أرى منْ نوْمكمْ ... ورضَاكمْ بوجود الاحتلال[1]
بحَّ صَوتى داعياً مستنهضاً ... صارخاً حتى تولانى الكلال[2]
لم أجدْ فيكم فتى ذا همة ... إن عدا الدهرُ عدَا أوْصَالَ صَال

ووصَمَ المصرّيين أهله وقومه بالنوم والغفلة والرضى باحتلال الأجنبى فقد دعا واستنهض حتى كلّ لسانه وتعب بيانه فلم يجد دا همة يجيب النداء ويعدو صائلا على الأعداء ، وهذه حرقة مخلص وصيحة محبّ يهيب بأمته أن تثور وأن تستفيق . ترجمها فى ذمّ وهجاء أباحهما لنفسه حبًّا واندفاعاً فى سبيل الخير لا الشرّ .

ومثله حافظ إبراهيم فقد تناول آدم ونوحاً ، وأرسل الحسرة والزفرة أسفاً لما وصلتْ إليه حالُ مصر فقال :

فما أنْتِ يا مصرُ دار الأديبْ ... ولا أنْتِ بالبلد الطيب

إلى أن يقول :

وكم ذا بمصر من المضحكات ... كما قال فيها « أبو الطيب »
أمور تَمُرُّ وعيش يُمِرُّ ... ونحنُ من اللهو فى ملعب
وشعب يمر من الصالحات ... فرار السليم من الأجرب
وصحُفٌ تطن طنينَ الذباب ... وأخرى تشن على الأقرَب
وهذا يلوذُ بقصر الأمير ... ويدعو إلى ظله الأرْحب
وهذا يلوذ بقصر السفير ... ويطنبُ فى ورده الأعذَب
وهذَا يصيح مع الصائحين ... على غير قصْد ولا مأرَب

---

(١) فل السيف : ثلمه وكسر حده ، الغرب : حد السيف ونحوه ، وهنا بمعنى ضعضع قوتى .
(٢) الكلال : التعب .